فتركت للمسرح روعة الحوار ، وأنس الحديث ، واختصت بسرعة الحركة والإشارة ، والوفاء بالمشاهد والمناظر ، فكان « للسينما » فن خاص بها ، وللمسرح فن خاص به ... فأما الآن وقد نطقت « السينما » وغلبت المسرح على أمره فيما كان من خاصة شأنه فقد وجب أن ننحو بالمسرح نحوا جديدا يجنبه عنف ذلك الفن الآلي القادر فنخص المسرح بموضوعات تخلو من عناصر الموضوعات السينمائية التي تعتمد على سرعة الحركة ، وكثرة الأشخاص ، ووفرة المواقف والمناظر ، وفخامة الملابس والأشياء المعروضة ... ولتكن مناظر المسرح ومواقفه وملابسه أقرب شيء إلى الرمز حتى لا ينافس « السينما » في مجال هي صاحبة الغلبة فيه على أية حال

وعلينا أخيرا أن نؤمن بأن المسرح ليس إلا مظهرا للفن ، وأن الفن جوهر يتطور مظهره ويتغير ؛ فهو بالأمس مسرح ، وهو اليوم «سينما» وقد يكون في الغد القريب أو البعيد شيئا غير «السينما» . وغير المسرح جميعا ... فلنكف من غلوائنا في تقدير المظاهر ، مادام الفن في جوهره بخير

محمود تيمور

شعراء الوطنية

٣ – البارودي

(١٨٤٠ – ١٩٠٤)

للأستاذ عبد الرحمن الرافعي

محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة ، وباكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث ، وأول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين ؛ فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود

كانت نشأته علمية حربية . تخرج من المدرسة الحربية وبدت عليه سليقته الشعرية وهو بعد في عهد التلمذة . وانتظم بعد تخرجه في سلك المناصب المدنية ثم العسكرية وخاض غمار الحروب في ثورة كريد سنة ١٨٦٦ . وفي الحرب بين تركيا والروسيا سنة ١٨٧٧ ، فصقلت المعارك مواهبه الشعرية

وكان من زعماء الثورة العرابية . وتولى رآسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢ . ثم كانت الهزيمة . ونفي مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل في منفاه نيفا وسبعة عشر عاما . وأسبغ عليه النفي سمات التضحية والبطولة .

الحنين إلى الوطن

كانت حياة الزعماء في منفاهم حياة ألم وحزن . إذ انقطعت صلتهم بالناس . وطال اغترابهم عن أرض الوطن ، وبعدت الشقة بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم . ولم يكترث لهم أحد . ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب !) وجادت قريحة البارودي بشعر مؤثر في الحنين إلى الوطن . والحزن على فراقه ، مما يعد آية في البلاغة . وبلغت سليقته الشعرية في منفاه ذروة العظمة والجلال

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن :

محا البين ما أبقت عيون المها مني
فشبت ولم أقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة
إلا شد ما ألقاه في الدهر من غبن

إلى أن قال :

ولما وقفنا للوداع وأسبلت مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري أن يعود فعزني ونادبت حلمي أن يثوب فلم يئن
وما هي إلا خطوة ثم أقلعت
بنا عن شطوط الحي أجنحة السفن

فكم مهجـة من زفرة الشوق فى لظى
وكم مقلة من غزرة الدمـع فى دجن
وما كنت جربت النوى قبل هـذه
فلمـا دهتنى كدت أقضى من الحزن
ولـكننى راجعت حـــلمى وردنى
إلى الحزم رأى لا يحـوم على أفن
ولولا بنيات وشـــيب عواطل
لمـا قرعت نفسى على فائت سنى

الصبر على الشدائد

وتجلت فى منفاه صفاته العالية من الشمم وعلو النفس واحتمل آلام النفى بشجاعة وإباء . وصبر وإيمان . وله فى ذلك شعر يفيض بهذه المعانى السامية

قال وهو فى سرنديب (سيلان) :

لم اقترف زلة تقضى على بمـا أصبحت فيه فاذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به ظلمـــا واغـترب ؟
فلا يظن بى الحساد مندمـة
فأننى صـــابر فى الله محتسب
أثريت مجدا فلم أعبأ بمـا سـلبت
أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفسا وهى عاليـة
ولا يشيد بذكر الخـامل النشب [1]

وقال مشيرا إلى مصادرة أملاكه :

يا ناصر الحق على الباطل خذ لى بحق من يدى ماطلى
أخرجنى عما حوته يدى من كسبى الحر بلا ناطل [2]
من غير ماذنب وى سمنطق ذى رونق كالصارم القاطل [3]
فإن أكن جردت من ثروتى
ففضل ربى حلية العـاطل

وقال من قصيدة أخرى فى مقاومـة الظلم والصمود أمام المحن والخطوب :

إذا المرء لم يدفع يد الجور أن سطت
عليه فلا يأسف إذا ضـاع مجـده
ومن دل خوف الموت كانت حياته
أضر عليـه من حـــام يؤده
وأقتل داء رؤية العين ظالمـــا
يسىء ويتلى فى المحـافل حمـــده
علام يعيش المرء فى الدهر خامـلا
أيفرح فى الدنيـا بيوم يعـده ؟
عفاء على الدنيـا إذا المرء لم يعش
بها بطلا يحمى الحقيقة شـــده

ومن قوله فى الحنين إلى الوطن والصبر على الشدائد :

فيادموع القطر سيلى دما ويا بنات الأيك نوحى معى
وأنت يا نسمة (وادى) النضـا مرى برياك عـــلى مربعى
وأنت يا عصفورة المنحنى بالله غنى طربا واسـجعى
وأنت يا عـين إذا لم تفى بذمة الدمع فلا تهجعى
أبيت أرعى النجم فى سدفة ضل بهـا الصبح فلم يطلع
فهل إلى الأشواق من غاية أم هل إلى الأوطان من مرجع
لا تأس يا قلب على ما مضى
لا بد للمحنـة من مقطع

يتمنى أن يرى مصر

وقال فى منفاه يتمنى أن يرى مصر :

يا حبـذا جرعة من ماء محنية
وضجعة فوق برد الرمل بالقـاع
ونسمة كشميم الخـلد قد حملت
ويا الأزاهر من ميث وأجراع [4]

(١) النشب المال والعقار (٢) الباطل الشيء القليل
(٣) القاطل القاطع
(٤) الميث جمع ميثاء الارض اللينة

يا هل أرانى بذاك الحى مجتمعا
بأهل ودى من قومى وأشياعى ؟

وقال فى هذا المعنى :

أبيت حزينا فى (سرنديب) ساهرا
طوال الليالى والخليون هجد
إذا خطرت من نحو (حلوان) نسمة
نزت بين قلبى شعلة تتوقد
شباب وأخوان رزئت ودادهم
وكل امرئ فى الدهر يشقى ويسعد

وقال أيضا فى منفاه :

ردوا على الصبا من عصرى الخالى
وهل يعود سواد اللمة البالى ؟
ماض من العيش مالاحت مخايله
فى صفحة الفكر إلا هاج بلبالى
أدهى المصائب غدر قبله ثقة وأقبح الظلم صد بعد إقبال
لاعيب فى سوى حرية ملكت اعنتى عن قبول الذل بالمال
قلبى سليم ونفسى حرة ويدى مأمونة ولسانى غير ختال
بلوت دهرى فما احدث سيرته فى سابق من لياليه ولا تالى
حلبت شطريه من يسر ومعسرة
وذقت طعميه من خصب وإمحال
لم يبق لى أرب فى الدهر أطلبه الا صحابة حر صادق الخال
وأين أدرك ما أبغيه من وطر
والصدق فى الدهر أعيا كل محتال
لا فى (سرنديب) لى إلف أجاذبه
فضل الحديث ولا خل فيرعى لى
أبيت منفردا فى رأس شاهقة مثل القطا فى فوق المربأ العالى
إذا تلفت لم أبصر سوى صور فى الذهن يرسمها نقاش آمالى
علام اجزع والأيام تشهد لى
بصدق ما كان من وسمى وأعفالى
راجعت فهرس آثارى فما لمحت
بصيرتى فيه ما يزرى بأعمالى
فكيف ينكر قومى فضل بادرتى
وقد سرت حكمى فيهم وأمثالى
أنا ابن قولى وحسبى فى الفخار به
وإن خدوت كريم العم والخال
ولى من الشعر آيات مفصلة تلوح فى وجنة الأيام كالخال
ينسى لها الفاقد المحزون لوعته ويهتدى بسناها كل قوال
فانظر لقولى تجد نفسى مصورة
فى صفحتيه فقولى خط تمثالى
ولا تغرنك فى الدنيا مشاكلة بين الأنام فليس النبع كالصال
إن ابن آدم لولا عقله شبح مركب من عظام ذات أوصال

ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر .

خليلى هذا الشوق لا شك قاتلى
فميلا إلى (القياس) إن خفتما فقدى
فى ذلك (الوادى) الذى أنبت الهوى
شفائى من سقمى وبرئى من وجدى

وقال فى هذا المعنى :

طال شوق إلى الديار ولكن
أين من (مصر) من أقام (بكندى)[1]
حبذا (النيل) حين يجرى فيبدى
رونق السيف واهتزاز الفرند
تتثنى الغصون فى حافتيه
كالعذارى يسحبن وشى الفرند
قلدتها يد الغمام عقودا هى أبهى من كل عقد وبند
كيف لا تهتف الحمام عليه وهى تسقى به سلافة قند
كلما صورته نفسى لعينى قدح الشوق فى الفؤاد بزند

وإلى العدد القادم حيث أتم الحديث عن البارودى وشعره الوطنى

(٤) كندى مدينة صغيرة فى جزيرة سيلان (سرنديب)

عبد الرحمن الرافعى